مهمة النـــاقد

بقـــلم نظمى خليل

شغلت الصحف فى الأيام الأخيرة ببعض الدواوين الشعرية وانبرى النقاد والكتاب لهذه الدواوين بالعرض والتحليل . وهذا أمر مألوف ، فقد اصطلح الناس على أن يتناولوا كل أثر فنى جديد يعرضون له تارة فى شىء من التقدير والاعجاب ، وتارة فى شىء من التحقير والسخط ، وحجة كل ناقد أو مستوعب لهذا العمل الفنى أنه يراه كذلك ، وأن ذوقه الأدبى يوحى له بهذا .

ولست أريد اليوم أن أسلك هذا الطريق أو أتناول ديواناً من هذه الدواوين بالعرض أو النقد . ولكنى أريد أن أتساءل فى هدوء ما فائدة النقد وما مهمة الناقد ؟

لا أرغب من طرح هذا السؤال أن أثير ضجة فى ميدان النقد ، أو أن أحط من شأن النقاد ، ولكنى أتساءل مخلصاً ما الفائدة الحقيقية التى تعود على الفن من نقد النقاد وتحليلهم ؟

لقد انحط فن النقد عندنا حتى صرنا نرى الناقد لا يعدو أحد رجلين : رجل يكيل المدح فى كرم وسخاء ، وآخر يرمى بالشتائم والهجاء اللاذع المؤلم فى غير تحرج ولا استحياء ، وليس هذا عمل الناقد الفنان ، فما كان النقد فى يوم من الأيام مدحا أو هجاء ، ولن تكون مهمة الناقد فى يوم من الأيام أن يقف من الأثر الفنى موقف من يقول إنه حسن أو إنه قبيح ، ولكن الناقد الفنان هو الذى يستوعب ويقف على هذا الخلق الفنى سواء فى الأدب أو النحت أو التصوير أو الموسيقى ، ويقول لماذا هو حسن وأين موضع القبح فيه .

ويجب عليه ألا يبنى حكمه هـذا على ذوقه الشخصى ، فلو اعتمد النقد على الذوق فقط لنالته الفوضى وعمه الفساد . ولكن النقد لابد له من قواعد وأصول تقوم بجانب هذا التحكم الفردى فتخفف من غلوائه وتوقفه عند حده . ولست أذهب الى ماذهب إليه تين Taine المؤرخ الفرنسى من أن زماناً معيناً ومكاناً معيناً وجواً معيناً تنتج أدبا خاصاً . فأنا لا أريد أن أحشر النقد فى زمرة العلوم ، ولكنى أرى أنه لا يمكن أن يكون فناً خالصاً يقوم على الذوق ، أو علماً محضاً مرجعه القواعد والأصول .

أعود بعد هذا الاستطراد إلى سؤالى السابق الذى طرحت ، والذى شغلنى كثيراً ولا سيما فى هذه الأيام ، إذ لا يكاد ينقضى يوم حتى أقرأ فى صحيفة أو أكثر من صحيفة بحوثاً مستفيضة تارة عن ديوان « وراء الغمام » وتارة عن ديوان « الملاح التائه » وهكذا ، أتساءل فى شىء كثير من الاخلاص ما الفائدة الحقيقية التى عادت على أصحاب هذه الدواوين ، ولست أعنى بأصحاب الدواوين أشخاصهم ولكنى أعنى ملكة الانتاج وقوة الابداع فيهم .

هل استفاد هؤلاء الشعراء من تلك البحوث المستفيضة ؟ هل زادت ثروتهم الفنية ؟ هل نجد فى آثارهم المستقبلة أثراً لهذه البحوث ؟

ليس من شأنى أن أتعجل الزمن فأحكم على آثار هذه البحوث ومواضيع النقد التى كتبت وتكتب حول هذه الدواوين . ولكنى أعرض لكاتب من كبار كتابنا الذين ظهروا حديثاً وهو الأستاذ « توفيق الحكيم » لم يكن هذا الكاتب معروفاً لدى القراء قبل عام ، ولكنه استطاع أن يتبوأ مكانة سامية بين كبار كتابنا فى

وهذه الميزة الواضحة السامية ، هى التى ألجأتنى وحفزتنى الى كتابة هذه الأسطر ، مع إظهار الأسف الزائد اذ لم تقع عينى وأنا أراجع الفهرس للسنة الأولى ، وأتتبع أعداد السنة الثانية على اسم كاتب حجازى يكون قد اشترك مع إخوانه وزملائه المعاصرين فى الأدب ، على صفحات هـــذه الصحيفة الغراء ، ليساهم فى هذه النهضة العلمية الفكرية المباركة ، وليتعرف اليهم ، ويعرفهم بنفسه ، وألا يكون بعيداً عنهم ، اذ هو أقرب الناس الى هذه المجلة الراقية علاقة ورابطة ، وأحوجهم الى الاشتراك فى مثل هذه الخدمات الأدبية الجليلة ، وباشتراكنا معهم يمكننا أن نؤمل من مديرها المفضال الأستاذ الزيات ، اذا أراد أن يشيد بذكر أبناء الرافدين والنهرين ألا ينسى « الحرمين » كذلك .

ملكة الكرمة — أحمد على

* * *

(الرسالة) جاءنا بهذا المعنى رسائل وقصائد للسادة الأفاضل محمد الرضا آل السيد هاشم الخطيب ، والأستاذ السيد مصطفى شريف ، والأديب حافظ غريب ، والسيد محيي الدين الفضل ، والشيخ ابراهيم احمد ابو الفرج . . . فرأينا فى نشرها إساءة منا الى الحياء واعتداء على حق القراء فحفظناها تذكاراً لهذه العاطفة النبيلة وتقدم لهم أسمى ما يقدم الصديق المخلص من الشكر والمعذرة ؟

أقل من أسبوع ، إذ ما كاد يذيع باكورة آثاره الفنية الرائعة « أهل الكهف » حتى ذاع صيته وعرف فى كل مكان . وهنا ألقى السؤال « هل كانت شهرة الأستاذ توفيق الحكيم آتية من جانب النقاد الذين تناولوا روايته أو قصته التمثيلية فى إعجاب وتقدير شديدين ؟ أم من تلك المسرحية نفسها وما فيها من فن صاحبها وقدرته على تفهم أصول القصة والمحاورة . ؟ »

إنى لا أتردد فى الاجابة على هذا السؤال معلناً رأيى فى صراحة أن شهرة توفيق الحكيم استمدت غذاءها من روح صاحبها الفنان ، ودعمت أسسها على فنه الخالد ، أجل ، أنا لا أنكر فضل أساتذة النقد عليه ، فقد شادوا بفضله ، ووقفوا الناس على فنان كان أمره مجهولاً من الكثيرين .

ولكنى أسأل ما الذى عاد على فن الأستاذ الحكيم من هذا التهليل والتكبير . قد يكون أساتذة النقد أفادوا الأستاذ كمؤلف يريد أن يتعرف للجمهور ويتحدث عنه الناس ويقبلوا على شراء كتبه . وقد يكون أساتذة النقد أفادوا القراء بما استكشفوه فى نتاج توفيق الحكيم من فن رائع وعبقرية كامنة . فأقبل القراء على مؤلفاته متزاحمين مدفوعين على قراءتها بما كتبه هؤلاء الأساتذة عنها . ربما كان فى هذا الكلام الصواب كله أو بعضه ، فكلنا يعرف أن القراء إنما يقرأون بالتأثير كما يتمغطس بعض المعادن من بعض .

فاذا قرأ قارىء كتابا وأعجب به أخذ يبدى هذا الاعجاب لمن حوله فيثير فيهم الرغبة القوية لقراءة هذا الكتاب . وهو لا يقنع بهذا ولا يهدأ حتى يقبل أصدقاؤه على هذا الكتاب ، وقد يكون الأمر على عكس ذلك ، فقد يقرأ قارىء كتاباً فيضيق به ويسخط على صاحبه ثم هو لا يبقى على هذا السخط فى نفسه بل يخلق المناسبات لاعلانه فى المجالس وفى الأندية والمجتمعات ، ثم هو لا يرتاح ولا يستقر حتى يجد من يشاركه هذا السخط والضيق بالكتاب وصاحبه . وهكذا شأن القراء ، فهم يقبلون على القراءة بالعاطفة والشعور سواء أكانت هذه العاطفة جميلة أم غير جميلة . وسواء كان هذا الشعور فى جانب صاحب الكتاب أو عليه .

وقد يكتب أحد أساتذة النقد مقالاً يتناول فيه كتاباً من الكتب بالبحث والتحليل فيستهوى هذا المقال لب قارىء من القراء - وقد يستهوى كثيرين - فيعلن هذا القارىء آراء هذا الناقد فى ذلك الكتاب بين أصدقائه واخوانه وتكون النتيجة أن يتزاحم هؤلاء الأصدقاء على قراءة هذا الكتاب مدفوعين بما سمعوا أو قرأوا عن هذا الكتاب . فيقرأونه وهم تحت تأثير هذا المقال . وإنى أسوق الى القارىء مثالاً على هذا

كنت منذ أربعة أعوام أكره الشاعر « تنيسون » وأضيق به كلما هممت أن أقرأ شيئاً من شعره . كان هذا منذ أربعة أعوام لم أكن قرأت قبلها نقداً أو تحليلا لشعر هذا الشاعر . قضيت على ذلك عامين وأنا أكرهه ، بل كنت أقرأ كل من يذكر اسمه أمامى أو يعجب به ، حتى كان لى مع الأستاذ « سكيف » أستاذ الدراما وشكسبير بكلية الآداب نقاش شديد حول هذه الكراهية الغريبة . فأخذ الأستاذ يبسط لى جمال شعر ذلك الشاعر ، ثم كان أن قرأت كتابه الصغير وهو ثلاث محاضرات كتبها مستوعباً بعض قصائده مقدراً فنه . فأخذ رأيى يتغير وأقبلت على قراءة شعر ذلك الشاعر فى حب وتقدير عظيمين .

وإنى أقف اليوم من الشاعر برونتج ما وقفته بالأمس من الشاعر تنيسون ، ولست أدرى أأوفق إلى أستاذ كذلك الأستاذ أو إلى كتاب كذلك الكتاب يحبب إلى قراءة شعر هذا الشاعر ، أو أنى سأقبل عليه من نفسى أو أظل على انصرافى عنه بقية أيامى .

أعود إلى سؤالى الأول « هل استفاد الأستاذ توفيق الحكيم شيئاً من هذه الضجة الكبرى التى أثارها بمؤلفاته الثمينة . إنى أرى أن الفائدة الفنية معدومة ، ولكنى مع ذلك لا أتجاهل فائدة النقاد للقراء وللمؤلف . للقراء كمرشد يأخذهم إلى مواطن الحسن الفنى ، وينبههم إلى مواضع الضعف ومواطن القبح ، وللمؤلف كأعلان عن كتابه وكأشادة بفنه السامى .

ليس فى هذا الكلام تعسف ولا مغالاة . وإنى أرجو كل من يرى أو يخيل إليه أنه يرى أن فى هذا إجحافا بحقوق النقاد ألا يثور ويحنق ، بل أرجو منه أن يهدأ ويخلو إلى نفسه يسائلها هل غير الأستاذ توفيق الحكيم شيئاً فى فنه نزولاً على رأى أو تنفيذاً

لنقد ، هل تفتحت طبيعته عن أشياء كانت أثراً للنقد أو نتيجة لنصائح النقاد . هل زادت ملكة الانتاج وقويت عنده بعد نشر هذه البحوث وكتابة هذه المقالات . كلا .

أرجو كل من يرى فى هذا تطاولاً على النقد والنقاد ألا يحنق ويسخط بل يهدأ ويخلو إلى نفسه يسائلها ما الفائدة التى عادت على فن شكسبير من مئات الكتب التى كتبت عنه . لقد كتب عن شكسبير مالم يكتب عن أى انسان آخر . وإنك لترى اختلافاً كبيراً فيما كتب عنه . فمن النقاد من تناول حياة شكسبير الأولى ومنهم من تحدث عن شكسبير شاعر الانسانية ، وشكسبير الممثل ، وشكسبير المؤلف المسرحى ، وشكسبير المصور المبدع ، وشكسبير الفنان وهكذا .

هناك مئات الكتب عن شكسبير وهناك عشرات الكتب كتبت فى غرض واحد مثل شكسبير « المؤلف المسرحى » ولكنك لن تجد رأيين يتفقان ، ولن تعثر على كاتبين قد سلكا مسلكاً واحداً فى بحثهما ، ثم أرجو أن تسأل نفسك هذا السؤال : « مابال أولئك النقاد يصلون لياليهم بأنهارهم صامدين للبحث صابرين على الشدائد فى هذه البحوث الطويلة المستفيضة ؟ ستقول إنهم يريدون أن يحلوا ألغاز شكسبير ويشرحوه حتى يعرف الناس من هو شكسبير . ستقول إنهم يريدون أن يحللوا مسرحيات شكسبير ويطبقوها على الحياة الواقعية التى نحياها كل يوم . يريدون أن يبرزوا مواهب شكسبير الفنية ودقة فهمه للطبيعة الانسانية وما فيها من شتى العواطف والاهواء من حب وبغض وحقد وغيرة وحيرة ويأس وأمل وخيبة وخيانة وغدر . إنهم يريدون أن يكشفوا عن أثر الطبيعة فى فن شكسبير وأثر الحياة الطبيعية فى شعره .

إنهم يريدون هذا وغير هذا ، ولكن هل وفقوا إلى شىء من هذا الجواب . لا . لم يوفقوا إلى ازاحة الستار عن سر تلك العبقرية الشاذة وعن ذلك الفن الخالد . لقد كتب كثيرون عن مآسى شكسبير Tragedies ، كتب برادلى كتابه « المأساة عند شكسبير » Shakespearean Tragedy وهو أحسن ما كتب فى هذا النوع : حلل فيه أبطال مآسيه الكبرى عطيل وهاملت والملك لير وماكبث . وكتب كثيرون غير برادلى عن فن شكسبير الدرامى أو التمثيلى . ولكن هل استطاع كاتب من مئات الكتاب أن يكشف الستار عن سر هذه العبقرية وجلالها ؟ هل أفلح كاتب من مئات الكتاب أن يقدم لنا صورة واضحة لنفسية هاملت الحائر وطبيعته العميقة وفلسفته الغامضة ؟ هل استطاع كاتب أن يحدد لنا غرض شكسبير من مأساته الخالدة « الملك لير » وهل استطاع علم وظائف الأعضاء وعلم النفس الحديث أن يفسرا ظواهر الجنون فى الملك لير وهاملت ، وغرائز الغدر والخيانة فى « ياجو » ، والشعور بالغيرة فى عطيل ، ومطامع الانسان فى ماكبث ؟ بل هل استطاع كاتب أو وصاف بارع أن يصف لنا شكسبير شاعر الطبيعة الفذ فى كوميدياته : « كما تحبها » . « وحلم ليلة فى منتصف الصيف » ، « والعاصفة » لا . لا . لقد أجهد مئات الكتاب أفكارهم فى شرح رجل واحد وفى تفهم نفسية فرد فلم يفلحوا ، بل تشعبت بهم البحوث وتباعدت آراؤهم وتضاربت .

فعلام كان كل هذا الاجهاد والنصب ؟ وعلام كان كل هذا الاهتمام ؟ لم يأت هذا الاجهاد بثمرة ، ولم تكن لاهتمامهم نتيجة ، فقد فشلوا جميعاً وعجزوا عن تفهم روح الشاعر نفسه ، عجزوا عن ادراك سر عبقريته .

فياليت شكسبير الذى أبدع كل هذه المسرحيات وجاء بهذه المعجزات الفنية فى الشعر أراح أولئك النقاد وأراحنا نحن القراء ، فكتب موجزاً صغيراً لمآسيه وكوميدياته يشرح فيه فكرته وأغراضه ، ولكن شكسبير معجزة الدهور قد أبى أن يقف الناس على أسرار فنه ، ومن يدرى ؟ ربما لم يعرف هو نفسه من أمر فنه شيئاً فمات وبقى لغزاً لن يحل . فاذا ألقينا نفس السؤال « هل استفاد فن شكسبير من هؤلاء النقاد الذين يعدون بالمئات ؟ كان الجواب بالنفى طبعاً ، لأن شكسبير لم يعش حتى يرى هؤلاء النقاد ، وأغلب الظن أنه لم يعن بأمر هؤلاء النقاد ولم يأبه بمعاصريه الذين تناولوا مؤلفاته بالنقد سواء المعجبون المشجعون أو الناقمون الحاقدون . فان شكسبير لم يكتب ليعجب النقاد أو يسخطهم ، بل أغلب الظن أنه لم يفكر فى اعضابهم أو اعجابهم ، وهذا شأن الفنان الحر الطليق لا يفكر إلا فى نفسه وفى فنه ولا يأبه إلا لرأيه ولا يخلص إلا لفنه .

ولكنى مع ذلك لا أنكر أن هذه المئات من الكتب التى كتبت عن شكسبير قد أعانت وستعين كل دارس لشكسبير ؛ ستعينه بقدر ما وصل اليه هذا الكاتب من تفهم لروح شكسبير ووقوف على أسرار عظمته الفنية . أقول أعانت القارئ وستعينه ، ولكنها لن تقفه على موطن الاعجاز فى شكسبير الأصيل ، فلن يعرف قارئ هذه الكتب موطن الاعجاب بهاملت والغرض الأساسى الذى كتبت من أجله ، وسيظل البطل هاملت حيرة الألباب والعقول ما بقى فى العالم إنسان مفكر .

فاذا كان هذا أمر النقاد والشراح من الفنانين العظام ، ففيم إذن تنحصر مهمتهم ؟ هل لهم رسالة يؤدونها كالكتاب ؟ فى رأيى أن الناقد عالة على الكاتب ، أرى أن الناقد شخصية ثانوية تعيش على غيرها ؛ فلولا الكاتب لما وجد الناقد ، ولولا الخلق والابتكار والانتاج لما وجد النقد ولما سمعنا صياح النقاد الذى يصم الآذان . فلولا شخص واحد كشكسبير لما وجد مئات النقاد الذين وإن كانوا قد أرشدونا إلى بعض مواطن الحسن والاعجاز فى فن شكسبير ، إلا أنى أرى أن هذه المهمة وإن كانت عظيمة الفائدة فى ذاتها ، أقل من أن تكون مهمة مئات من الرجال قد استمدوا حياتهم الفنية ووجودهم الأدبى من عبقرية فرد واحد هو شكسبير ؟

نظمى خليل
بكالوريوس آداب

ضحى الاسلام
وهو الكتاب التالى لفجر الاسلام
للأستاذ احمد أمين
ثمنه ٢٠ قرشاً

آلام فرتر
للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى
ترجمها الاستاذ احمد حسن الزيات
ثمنها ١٥ قرشاً

جواب عن سؤال

الالياذة والأوذيسة*

... أشرتم فى كتابكم (تاريخ الأدب العربى) إشارة موجزة الى ديوانى الالياذة والأوذيسة . فهل تتفضلون وأنتم ... بكلمة فى الرسالة عن موضوعى هذين الديوانين ...

(سنغافورة) م . ع . ج

الالياذة والأوذيسة منظومتان يونانيتان نسبتا الى هوميروس ، واستفاضتا فى الشعوب والأجيال تحملان أثر العبقرية الاغريقية ، وترددان صدى الحرب الطروادية ، وتعدان الآداب العالمية بالغذاء والقوة . موضوع الالياذة غضب أخيل ، وهو حادث بسيط من حوادث حرب طروادة وقع فى السنة العاشرة من حصارها ، واستغرق واحداً وخمسين يوماً ، تبتدئ بشجار أخيل وأغا ممنون وتنتهى بقتل هكطور . وتنقسم هذه الملحمة الى أربعة وعشرين نشيداً تمثلت فيها صور الحياة اليونانية بأساطيرها وعاداتها وآدابها جلية رائعة مؤثرة . وأهم أبطالها من الاغريق أغا ممنون ملك ارجوس ومسينا وأمير الجيش ، ومينيلاس أخو أغا ممنون وملك اسبارطة ، وأخيل ملك الفذيوتيد ، وبتروكل صديق أخيل ، ونسطور ملك بيلوس ، وأوليس ملك أتيكا ؛ ومن الطرواديين هكطور وفاريس ابنا فريام ملك طروادة ، واينوس حمو فريام الخ . وللآلهة فى الالياذة شأن خطير وأثر كبير : فزحل ومنيرفا مع الاغريق ، وأبولون والمريخ مع الطرواديين . فهم يدبرون القتال ، ويحمون الأبطال ، ويتقارعون فيما بينهم انتصاراً لطائفة على أخرى .

وملخصها أن أبولون سلط الوباء على معسكر الاغريق ، فأعمل فيهم منجله انتقاماً منهم على سبيهم بنت كاهنه كريزيس . ثم جلّ الخطب بوقوع الخلاف بين أغا ممنون وأخيل من أجل سبية نفسها الأول على الثانى فاستأثر بها دونه من غير حق . ولما عجز أخيل الباسل عن الأخذ لنفسه من أمير الجيش

* ترجم الالياذة الى العربية المرحوم سليمان البستانى ، أما الأوذيسة فلم تترجم